

الحيد الأضحي

قراءة إسلامية في القصة التوراتية

عيد الأضحى

قراءة إسلامية في القصة التوراتية

لماذا لا يحتفل معنا المسيحيون بهذا العيد وهو
في كتابهم؟

جميع الحقوق محفوظة لموقع "عشاق الله"

محتويات الكتاب

مقدمة

الأساس التاريخي التوراتي لفكرة الذبيحة

المفاهيم الدينية لعيد الأضحى

1: ماذا لو كنت مكان سيدنا إبراهيم (عليه السلام)؟

2: العيد والذبيحة البشرية

3: عيد الأضحى أو العيد الكبير ونموذج الابن الذبيح

4: التدبير الإلهي على جبل المرية

5: استعداد الابن للتضحية

6: نبوة سيدنا إبراهيم بأن الله (سيرى لنفسه الذبيحة المناسبة)

7: نجاة الابن بذبح عظيم من عند الله

8: سيدنا إبراهيم تبرر بالإيمان قبل تقديم ابنه

9: إيمان سيدنا إبراهيم بالذهاب للمدينة السماوية

10: إيمان سيدنا إبراهيم بالقيامة

11: الذين هم على مثال إسحاق هم أيضاً أولاد للوعد

12: إبراهيم خليل الله

13: سيدنا إبراهيم حنيفاً

هذا العيد الغالي على قلب كل مسلم في شتى بقاع الأرض، هو مناسبة إسلامية هامة يتذكر فيها كل مسلم أمر المولى عز وجل لسيدنا إبراهيم بتقديم ابنه إسماعيل ذبيحة لله.

ورد ذكر سيدنا إبراهيم (سلام الله عليه) عدة مرات في المصحف الشريف الذي أخبر أنه كان مسلماً حنيفاً، فقد كان عابداً لله عز وجل رافضاً لعبادة الأوثان (سورة الأنعام 79). ويعتبر كل عربي أن سيدنا إسماعيل (سلام الله عليه) هو أب العرب. ولقد فدى الله عبده بذبح عظيم هو خروف أراه المولى لسيدنا إبراهيم بين الزروع. وهذا سر اهتمامنا وفرحنا بتلك الذكرى العزيرة.

في هذا العيد تذبح كل أسرة مسلمة قادرة خروفاً كذكرى لذبح الخروف فداء لسيدنا إسماعيل (سلام الله عليه) أبو كل عربي ومسلم.

ورغم وجود بعض الإختلافات بين ما سجله القرآن الكريم وما ورد في التوراة فإن تلك القصة تحمل الكثير من المعاني السامية ودلائل الرحمة الإلهية لكلا الطرفين.

وسنعمد في رؤيتنا هذه القصة على ما ورد في القرآن الكريم مع إضافات من النص التوراتي حتى نلم بكل أحداث القصة. وقد وردت القصة في القرآن الكريم في سورة (الصافات 99-113) فقط بينما تمتد قصة سيدنا إبراهيم وتقديم ابنه كذبيحة إحدى عشر فصلاً في التوراة. لذلك سنستخدم النص القرآني بأكمله وبعض الفقرات من النص التوراتي (نظراً لطول النص التوراتي).

إستشهادنا بآيات القرآن الكريم سيكون على ثلاثة أجزاء:

الجزء الأول: "وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ" (سورة الصافات 99-101).

الجزء الثاني: "فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا" (سورة الصافات 102-105).

الجزء الثالث: "إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ" (سورة الصافات 105-113).

وامتير للإنتباه أن سيدنا إسماعيل لم يرد ذكره في آيات الله في القرآن الكريم عند ذكر الله تعالى لقصة الذبيح، بينما ورد ذكر سيدنا إسحاق في تلك القصة مرتين. وهذا الابن يُشر به قبل الرؤيا كابن وبعد الرؤيا كني.

فقبل الرؤيا: (الجزء الأول من النص الكريم أعلاه) طلب سيدنا إبراهيم من ربه ولداً فأجاب ربه لطلبه بانه سيرزقه ابناً. ومن يقرأ قصة التوراة من الفصل 12 إلى 22 سيجد أن طلب سيدنا إبراهيم قد تكرر عدة مرات فهو بحاجة لإبن يرثه. لماذا؟ لأن المولى عز وجل قد وعد خليله بابن من نسله سيكون مصدر بركة لكل شعوب العالم، فكان

انتظار سيدنا إبراهيم لذلك الابن والنسل الذي من خلاله تتبارك جميع الأمم (كتاب التكوين 12: 1-3).

وبعد الرؤيا (حادثة الشروع في ذبح ابنه) أي الجزء الثالث من النص القرآني أعلاه، نجد المولى يبشر خليله إبراهيم بأن ابنه سيكون ايضاً نبياً.

هناك من الأمور ما يدعو المسيحي أيضاً للاحتفال بعيد الأضحى!!

الأساس التاريخي التوراتي لفكرة الذبيحة:

حسب القصة المذكورة في التوراة (تكوين 15-16) فقد وعد المولى خليله إبراهيم بنسل لا يعد في كثرته. ووجدت سارة زوجة إبراهيم أنها بحكم السن لا تستطيع أن تحقق ذلك النسل لإبراهيم، فطلبت من زوجها أن ينشئ نسلًا عن طريق جاريتها (سيدتنا) هاجر. فهي التي أنجبت لسيدنا إبراهيم أول أولاده (إسماعيل) عليه السلام.

بعد ذلك أعطى الله وعداً لخليله إبراهيم بأنه سوف يكون أباً لشعب كبير العدد من خلال ابن ينجبه من زوجته (سيدتنا سارة). فتعجب الخليل وخاطب مولاه بأنه مكتف بإسماعيل ابناً وتمنى فقط أن يعيش ذلك الابن ويحفظه الله.

ويتحقق الوعد الإلهي المعجز وتنجب سارة ابناً بعد ان شاخت. ويحيى سيدنا إسحق عليه السلام ليتحقق من خلال نسله (يعقوب أبو الأسباط) ميلاد نسل كبير كوعده الله لخليله. من خلال ذلك النسل تتبارك شعوب العالم (بمعرفة الله عن طريق أنبياء من نسل سيدنا إبراهيم).

ونجد في القصة التوراتية أن الوعد يتكرر أربع مرات عن سيدنا إسماعيل أيضاً بأن نسله سيكون هو كذلك أمة عظيمة. المرة الأولى التي ذُكر فيها هذا الوعد كانت لسيدتنا هاجر عند هروبها من اضطهاد سيدتنا سارة بعد ان ولدت إسماعيل عليه السلام (تكوين 16: 5-12). وبعد سنوات تكرر الوعد من الله عندما طردت هي وابنها من منزل

سيدنا إبراهيم (تكوين 21: 14-21). وتكرر الوعد أيضاً مرتين لسيدنا إبراهيم (عليه السلام) مرة قبل ميلاد اسحق (تكوين 17: 20) والأخرى بعد ولادة اسحق بعامين وكان عمر سيدنا إسماعيل حوالي خمسة عشر عاماً. (تكوين 17: 25 وتكوين 21: 1-21).

ففي هذا السن كان الفتى إسماعيل يمزح مع أخيه غير الشقيق ويسخر منه بطريقة ضايقت أمه سيدتنا سارة. فطلبت من زوجها أن يطرد الجارية وابنها من المنزل. فقبح هذا الطلب في عيني سيدنا إبراهيم، إذ كيف يطرد ابنه من المنزل؟ ولماذا؟ لكن الله جل جلاله أمر سيدنا إبراهيم أن ينفذ إرادة سارة. ثم كرر الوعد لسيدنا إبراهيم بأن يجعل من سيدنا إسماعيل أمة عظيمة. وهذا ما تحقق فعلاً فصار إسماعيل عليه السلام أباً لكل المؤمنين من عرب الجزيرة وخارج الجزيرة وكل مسلمي العالم الذين يمكن اعتبارهم أولاداً لإسماعيل ابن إبراهيم.

وقد اتفق الوحي القرآني مع القصة التوراتية في أن سيدنا إبراهيم طلب ابناً من الله فبشره بإسحاق (سورة الصافات 111).

هكذا نجد في قوله تعالى: "وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ سَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ" (سورة الصافات: 107-110). أن الابن الذي تم فدائه بالذبح العظيم هو الابن المبشر به (وليس أي ابن آخر لسيدنا إبراهيم) وبالتالي هو إسحق. (راجع أيضاً تفسير الطبري وتفسير القرطبي لهذه الآيات فهما يؤكدان أن الذبيح هو إسحاق عليه السلام).

ومباشرة بعد ذكر القرآن رؤية إبراهيم الخليل ذبح ابنه وفداء الله للابن يعود الكتاب الكريم ويذكر إسحق الذي يشير إليه الوحي مرتين: "وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ وَمِن دُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ" (سورة الصافات 112-113).

وبالرجوع إلى السرد التوراتي للرواية نجد أن إسحق كان كبيراً بما يكفي ليحمل الخشب اللازم للذبيحة (تكوين 21: 1-19) أو كما يشير القرآن الكريم إلى عمره بالقول: "بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ" (سورة الصافات 102). وحسب التسلسل التاريخي للقصة فإسماعيل في ذلك الوقت كان قد غادر البيت من حوالي أحد عشر عاماً مع أمه سيدتنا هاجر.

وعند رجوع سيدنا إبراهيم وابنه بعد فدائه بالذبح العظيم ظهر له ملاك الله معطياً له قولاً كريماً من رب السماوات: "هَا أَنَا أُقْسِمُ بِذَاتِي يَقُولُ الرَّبُّ: لِأَنَّكَ صَنَعْتَ هَذَا الأَمْرَ، وَلَمْ تَمْنَعْ ابْنَكَ وَحَيْدَكَ عَنِّي، لِأَبَارِكَنَّكَ وَأَكْثِرَنَّ دُرِّيَّتَكَ فَتَكُونُ كُنُجُومَ السَّمَاءِ وَكِرْمَلِ شَاطِئِ البَحْرِ، وَتَرِثَ دُرِّيَّتَكَ مَدُنَ أَعْدَائِهَا. وَبِدُرِّيَّتِكَ تَبَارِكُ جَمِيعُ أُمَّمِ الأَرْضِ، لِأَنَّكَ أَطَعْتَنِي". (تكوين 22: 16-18).

والنسل العبراني هم أولاد سيدنا إبراهيم من ابنه إسحاق، وهم الذين قادهم موسى النبي وأطلق عليهم فيما بعد اسم اليهود في زمان المسيح واسم الإسرائيليين الآن. ومن خلال نسل أولاد إبراهيم إسحاق ويعقوب، كان الله مزمماً أن يبارك العالم. ولا يوجد أي اختلاف بين

قصة التوراة وقصة القرآن في شأن النسل النبوي من إبراهيم إلى إسحاق ويعقوب أبو الأسباط الذين خرج منهم معظم الأنبياء.

ربما يكون صعباً على أي مسلم اليوم أن يقتنع أن إسحاق وليس إسماعيل هو الابن الذي عزم سيدنا إبراهيم أن يذبحه نظراً لتغلغل فكرة الذبيح إسماعيل في العقول، إلا أننا نجد النص القرآني في سورة الصافات وتفاسير القرطبي والطبري وأقوال العديد من الصحابة والسلف الصالح تؤكد أن الذبيح هو سيدنا إسحاق.

ونلاحظ في قصة التوراة تكرار وعد الله لإبراهيم بابن تتبارك من خلاله الأمم، مرة قبل أن يكون لسيدنا إبراهيم أولاد بتاناً، ومرة أخرى بعد تقديم الذبيح العظيم كفاءة لابن سيدنا إبراهيم. (تكوين 12: 13 وتكوين 22: 13-18).

ولعل كل مسلم وهو يشرع في الاحتفال بذكرى نجات ابن إبراهيم يتذكر العهد الأبدي بين المولى وخليله إبراهيم بأن يكون نسله كرملة البحر، وأن يكونوا سبب بركة لكل الأمم. ولعلنا جميعاً ندرك أن أبناء إبراهيم ليسوا فقط أبناءه بالجسد (اليهود) أو من أختنوا في الجسد بل أبناء إبراهيم هم كل من آمن بإيمان سيدنا إبراهيم وأختن لا في الجسد بل في القلب "وَالْخِتَانُ هُوَ مَا كَانَ خِتَانًا لِلْقَلْبِ بِالرُّوحِ لَا بِالْحَرْفِ. وَهَذَا يَأْتِيهِ الْمَدْحُ لَا مِنَ النَّاسِ بَلْ مِنَ اللَّهِ!" (رسالة رومية 2: 29).

المفاهيم الدينية لعيد الأضحى

يوجد الكثير من المعاني والمفاهيم الدينية التي يمكن أن نتعلمها من عيد الأضحى المسمى أحياناً بالعيد الكبير. بعض تلك المعاني والمفاهيم واضح وسهل في القصة وبعضها قد يحتاج إلى تفكير لإظهاره أمام عيون الفكر. وسنستخرج بعض تلك المفاهيم من القصة التاريخية وبعضها من مفهوم كلمة (إيمان) كما يتجلى الإيمان الحقيقي بالله الواحد في حياة سيدنا إبراهيم.

1: ماذا لو كنت مكان سيدنا إبراهيم (عليه السلام)؟

لو سألت أي مسيحي أو يهودي من هو الابن الذي كان سيدنا إبراهيم مزعماً أن يذبحه فسيجيبك بسرعة (إنه إسحاق) وهو بيني هذه الإجابة على ماورد في كتاب التكوين الفصل 22.

والسؤال الذي يجب أن يجيب عنه المسلم بهذا الخصوص هو: إذا كان لك ابن من زوجتك وآخر من جارية وطلب الله منك أن تضحي بأحدهما، فأَيُّ منهما يمثل الضحية الأعظم ابنك من زوجتك أم من الجارية؟

في كثير من الأحيان ستكون الإجابة الابن من الزوجة لأنه الأهم ولذلك هو الوارث حسب نظام المواريث كما في الشريعتين اليهودية والإسلامية، وهذا يعلل القول الإلهي لعبد إبراهيم "ها أنا أقسم بذاتي، يَقُولُ الرَّبُّ: لِأَنَّكَ صَنَعْتَ هَذَا الأَمْرَ، وَلَمْ تَمْنَعْ ابْنَكَ وَحِيدَكَ عَنِّي، لِأَبَارِكْكَ وَأَكْثِرَنَّ ذُرِّيَّتَكَ فَتَكُونُ كُنُجُومَ السَّمَاءِ وَكَرَمَلِ شَاطِئِ البَحْرِ،

وَتَرْتُ دُرِّيَّتَكَ مُدْنًا أَعْدَائُهَا. وَبَدْرِيَّتَكَ تَنْبَارِكُ جَمِيعُ أُمَّمِ الْأَرْضِ، لِأَنَّكَ أَطَعْتَنِي". (تكوين 22: 16-18).

2: العيد والذبيحة البشرية:

كان من الممكن لسيدنا إبراهيم أن يتساءل ويدعى أنه فهم أمر الله بطريقة خاطئة، فكيف يدعو ربه لتقديم ذبيحة بشرية كما يفعل سكان أرض كنعان الذين يعيش بينهم، إذ هم أيضاً يقدمون لأهتهم وأوثانهم ذبائح بشرية. لذلك ليس من المعقول أن يطلب الله هذا الطلب!. لكن سيدنا إبراهيم لم يضع نصب عينيه المخرج والحجة لعدم طاعة ربه بل فكر فقط في طاعة أمر الله، لهذا دعي خليل الله (سورة النساء: 125 وأشعياء 41: 8 ويعقوب 23: 2).

لقد كان سيدنا إبراهيم يكره عبادات الوثنيين وذبائحهم البشرية التي يقدمونها لأهتهم، لكنه لم يعترض أو يجادل أو حتى يسأل عن سبب ذلك الأمر من ربه، بل وثق أن لله حكمة وغاية يعرفها هو وحده فوجبت الطاعة لا المجاملة.

3: عيد الأضحى أو العيد الكبير ونموذج الابن الذبيح:

صمم سيدنا إبراهيم العزم على تقديم ابنه ذبيحة، وذلك لكونه كان مسلماً لله بالربوبية والخضوع لأوامر عز وجل (لذلك فهو بالحقيقة مسلم خنيف) وهذا الاختبار الذي جازته الخليل هو ما يؤكد (إسلامه) للمولى. أو كما ذكر كاتب الرسالة إلى العبرانيين: "وَبِالْإِيمَانِ، إِبْرَاهِيمُ أَيْضاً، لَمَّا

أَمْتَحَنَهُ اللهُ ، فَدَمَّ إِسْحَاقَ ابْنَهُ. فَإِنَّهُ، إِذْ قَبِلَ وَعُودَ اللهُ، فَدَمَّ ابْنَهُ الْوَحِيدَ ذَبِيحَةً". (عبرانيين 11: 17-18).

هذه الصورة لتقديم الابن تحمل لنا إشارة إلى فكر الله المستقبلي (كما يراه المسيحيون) في تقديم الابن "لأنَّهُ هَكَذَا أَحَبَّ اللهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَدَّلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ، لِكَيْ لَا يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ، بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الْأَبَدِيَّةُ". (يوحنا 3: 16).

4: التدبير الإلهي على جبل المريا:

في الرواية التوراتية لقصة سيدنا إبراهيم وابنه نجد قول الله لعبده الخليل "خُذْ ابْنَكَ وَحِيدَكَ، ... إِلَى أَرْضِ الْمَرِيَا" لتقديم ابنك ذبيحة "عَلَى أَحَدِ الْجِبَالِ الَّذِي أَهْدِيكَ إِلَيْهِ". (تكوين 22: 2).

في زمن لاحق أمر الله سيدنا سليمان أن يبني هيكلًا لله في تلك المنطقة. وفي تلك المنطقة أيضاً في نفس البقعة وغالباً نفس الجبل صُلب السيد المسيح بعد قرون.

ويشير العهد الجديد إلى المسيح المصلوب كالذبيحة الأخيرة على جبل المريا.

5: استعداد الابن للتضحية:

لا تذكر لنا الرواية التوراتية أي شيء عن قبول أو رفض إسحق لفكرة أن يكون هو الذبيحة المقدمه لله، ولكن مما لاشك فيه أن إسحق شاهد أباه عدة مرات في السابق وهو يقدم الذبائح لله، لكنه بالقطع لم يسمع من قبل عن رغبة والده في تقديمه ذبيحة. إلا أننا أيضاً لا نلمس أي نوع من

الاعتراض من طرف إسحاق، بل قبول وخضوع لأمر الله وإستكانة فوق الحطب، ويداه ورجلاه مقيدتان والسكين ترتفع فيما ظلها يتحرك فوق جبهته. لم تسجل التوراة أي اعتراض منه. "وَلَمَّا بَلَغَا الْمَوْضِعَ الَّذِي أَشَارَ إِلَيْهِ اللَّهُ لَشَيْدِ إِبْرَاهِيمَ مَدْبَحاً هُنَاكَ، وَنَضَّدَ الْحَطْبَ، ثُمَّ أَوْتَقَ إِسْحَقُ ابْنَهُ وَوَضَعَهُ عَلَى الْمَدْبَحِ فَوْقَ الْحَطْبِ. وَمَدَّ إِبْرَاهِيمُ يَدَهُ وَتَنَاوَلَ السَّكِّينَ لِيَدْبَحَ ابْنَهُ". (تكوين 22: 9-10).

وقد سجل القرآن أيضا قبوله وخضوعه لأمر الله "قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ" (سورة الصافات 102).

قبل المسيح بحوالي 700 سنة تكلم الله على لسان إشعيا النبي وأخبرنا أن المسيح أيضا سيكون خاضعاً وقابلًا للموت ليكفر بذبيحة نفسه عن خطايا وذنوب كل من يقبل تلك الذبيحة فقال: "لَكِنَّهُ حَمَلَ أَخْرَأَتَنَا وَحَمَلَ أَوْجَاعَنَا، وَحَنُّنُ حَسِينَا أَنَّ الرَّبَّ قَدْ عَاقَبَهُ وَأَذَلَّهُ، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ مَجْرُوحاً مِنْ أَجْلِ آثَامِنَا وَمَسْحُوقاً مِنْ أَجْلِ مَعَاصِينَا، حَلَّ بِهِ تَأْدِيبُ سَلَامِنَا، وَبَجَرَّاحِهِ بَرِّئْنَا. كُلُّنَا كَعَنَمٍ شَرَدْنَا مِلْنَا كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى سَبِيلِهِ، فَأَثَقَلَ الرَّبُّ كَاهِلَهُ بِإِثْمِ جَمِيعِنَا. ظَلَمَ وَأَذَلَّ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَفْتَحْ فَاةً، بَلْ كَسَاةً سِيقَ إِلَى الدَّبْحِ، وَكَعَجَجَةٍ صَامِتَةٍ أَمَامَ جَارِيهَا لَمْ يَفْتَحْ فَاةً...

... وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ سَرَّ اللَّهُ أَنْ يَسْحَقَهُ بِالْحَرَنِ. وَحِينَ يُقَدِّمُ نَفْسَهُ ذَبِيحَةً إِثْمَ فَإِنَّهُ يَرَى نَسْلَهُ وَتَطُولُ أَيَّامُهُ، وَتُفْلِحُ مَسْرَةُ الرَّبِّ عَلَى يَدِهِ. وَيَرَى ثَمَارَ تَعَبِ نَفْسِهِ وَيَسْبُحُ، وَعَبْدِي الْبَارُّ يَبْرُرُ بِمَعْرِفَتِهِ كَثِيرِينَ وَيَحْمِلُ آثَامَهُمْ. لِذَلِكَ أَهْبَهُ نَصِيباً بَيْنَ الْعُظَمَاءِ، فَيَقْسِمُ غَنِيمَةً مَعَ الْأَعْرَاءِ، لِأَنَّهُ سَكَبَ

لِلْمَوْتِ نَفْسَهُ، وَأُخْصِيَ مَعَ أُمَّةٍ. وَهُوَ حَمَلَ حَطِيئَةَ كَثِيرِينَ، وَشَفَعَ فِي الْمُدْنِيِّينَ". (إشعيا 53: 4-12).

العديد من فقرات الإنجيل تحكي أن المسيح سيق إلى الصلب بواسطة رجال الدين اليهود من بني عصره، وعلى جبل المريا صلب دون أن يفتح فاه باعتراض.

لعل من أجمل ما كتب عن صلب المسيح ما كتبه الحواري بطرس الذي قال: "لأنَّ الله دَعَاكُمْ إِلَى الْإِشْتِرَاكِ فِي هَذَا النَّوْعِ مِنَ الْآلَامِ. فَالْمَسِيحُ، الَّذِي تَأَلَّم لَأَجْلِكُمْ، هُوَ الْقُدْوَةُ الَّتِي تُفْتَدُونَ بِهَا. فَسِيرُوا عَلَى آثَارِ حُطَوَاتِهِ: إِنَّهُ لَمْ يَفْعَلْ حَطِيئَةً وَاحِدَةً، وَلَا كَانَ فِي فَمِهِ مَكْرٌ. وَمَعَ أَنَّهُ أَهْيِنَ، فَلَمْ يَكُنْ يَرُدُّ الْإِهَانَةَ. وَإِذْ تَحَمَّلَ الْآلَامَ، لَمْ يَكُنْ يُهَدِّدُ بِالانتِقَامِ، بَلْ أَسْلَمَ أَمْرَهُ لِلَّهِ الَّذِي يَحْكُمُ بِالْعَدْلِ. وَهُوَ نَفْسُهُ حَمَلَ حَطَايَانَا فِي جَسَدِهِ (عِنْدَمَا مَاتَ مَصْلُوبًا) عَلَى الْخَشَبَةِ، لِكَيْ نَمُوتَ بِالنَّسْبَةِ لِلْحَطَايَا فَتَحْيَا حَيَاةَ الْبَرِّ. وَبِجِرَاحِهِ هُوَ تَمَّ لَكُمْ الشِّفَاءُ، فَقَدْ كُنْتُمْ ضَالِّينَ كَخِرَافٍ ضَائِعَةٍ، وَكَلِكُكُمْ قَدْ رَجَعْتُمْ الْآنَ إِلَى رَاعِي نَفُوسِكُمْ وَخَارِسَهَا!". (بطرس الأولى 2: 21-25).

وعدم اعتراض أو تدمير سيدنا إسحاق هو إشارة واضحة لقبول المسيح أن يكون ذبيحة لله لكي تتبارك من خلاله كل شعوب العالم إتماماً للوعد الذي قطعه الله من قبل لسيدنا إبراهيم، أي قبل المسيح بألفي عام، وطوال حياة المسيح أشار أكثر من مرة أن هدفه هو أن يتم مشيئة الله ووعوده لعبده إبراهيم.

فمرة أحضر الحواريون طعاما لسيدنا عيسى فكان رد فعله أن قال لهم: "طعامي هو أن أعمل مَشِيئَةَ الَّذِي أَرْسَلَنِي وَأَنْ أُجِزَ عَمَلَهُ." (يوحنا 4: 34).

وفهم المسيح لكونه ذبيحة الله من أجل حياة البشر جعله يطيع ربه راضياً بتلك التضحية ... ولنقرأ ما قاله المسيح عيسى للجموع بعد أن أطعمهم بمعجزة ربانية فبدؤوا يقارنون بين ما فعله المسيح وما فعله موسى كليم الله مع آبائهم من حوالي 1600 عام "بَعْدَ ذَلِكَ عَبَرَ يَسُوعُ بُحَيْرَةَ الْجَلِيلِ، أَيْ بُحَيْرَةَ طَبْرِيَّةَ، إِلَى الضَّفَّةِ الْمُقَابِلَةِ، وَتَبِعَهُ جَمْعٌ كَبِيرٌ بَعْدَمَا رَأَوْا آيَاتِ شِفَائِهِ لِلْمَرْضَى. وَصَعِدَ يَسُوعُ وَتَلَامِيذُهُ إِلَى الْجَبَلِ وَجَلَسُوا. وَكَانَ عِيدُ الْفِصْحِ الْيَهُودِيِّ قَدْ اقْتَرَبَ. وَإِذْ تَطَلَّعَ يَسُوعُ وَرَأَى جَمْعاً كَبِيراً قَادِمًا نَحْوَهُ، قَالَ لِفِيلَيْسَ: «مَنْ أَيْنَ نَشْتَرِي خُبْزاً لِنُطْعِمَ هؤُلاءِ كُلَّهُمْ؟» وَقَدْ قَالَ هَذَا لِيَمْتَحِنَهُ، لِأَنَّ يَسُوعَ كَانَ يَعْرِفُ مَا سَيَفْعَلُهُ. فَأَجَابَهُ فِيلَيْسُ: «حَتَّى لَوْ اشْتَرَيْتَنَا خُبْزاً بِمِئَتِي دِينَارٍ، لَمَا كَانَ يَكْفِي لِيَحْضُلَ الْوَاحِدُ مِنْهُمْ عَلَى قِطْعَةٍ صَغِيرَةٍ!» فَقَالَ لَهُ أُنْدَرَاوُسُ، أَخُو سَمْعَانَ بُطْرُسَ، وَهُوَ أَحَدُ التَّلَامِيذِ: «هُنَا وَكُلُّ مَعَهُ خَمْسَةُ أَرْغَفَةِ شَعِيرٍ وَسَمَكَاتَانِ صَغِيرَتَانِ. وَلَكِنْ مَا هَذِهِ لِمَثَلِ هَذَا الْجَمْعِ الْكَبِيرِ؟» فَقَالَ يَسُوعُ: «أَجْلِسُوهُمْ!» وَكَانَ هُنَاكَ عُشْبٌ كَثِيرٌ. فَجَلَسَ الرَّجَالُ، وَكَانَ عَدَدُهُمْ نَحْوَ خَمْسَةِ آلَافٍ. فَأَحَدَ يَسُوعُ الْأَرْغَفَةَ وَشَكَرَ، ثُمَّ وَزَعَ مِنْهَا عَلَى الْجَالِسِينَ، بِقَدْرِ مَا أَرَادُوا. وَكَذَلِكَ فَعَلَ بِالسَّمَكَيْنِ. فَلَمَّا شَبِعُوا، قَالَ لِتَلَامِيذِهِ: «اجْمَعُوا كِسْرَ الْخُبْزِ الَّتِي فَضَلَتْ لِكَيْ لَا يَضِيعَ شَيْءٌ!» فَجَمَعُوهَا، وَمَلَأُوا اثْنَيْ عَشْرَةَ فَفَّةً مِنْ كِسْرِ الْخُبْزِ الْفَاضِلَةِ عَنِ الْآكِلِينَ

مِنْ خَمْسَةِ أَرْغَفَةِ الشَّعِيرِ. فَلَمَّا رَأَى النَّاسُ الْآيَةَ الَّتِي صَنَعَهَا يَسُوعُ
 قَالُوا: «حَقًّا، هَذَا هُوَ النَّبِيُّ الْآتِي إِلَى الْعَالَمِ»..... فَلَمَّا وَجَدُوهُ عَلَى
 الضَّفَّةِ الْمُقَابِلَةِ مِنَ الْبَحِيرَةِ، قَالُوا لَهُ: «يَا مَعْلَمُ، مَتَى وَصَلْتَ إِلَى هُنَا؟»
 أَجَابَهُمْ يَسُوعُ: «الْحَقُّ الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: أَنْتُمْ تَبْحَثُونَ عَنِّي لِأَنَّكُمْ رَأَيْتُمْ
 الْآيَاتِ، بَلْ لِأَنَّكُمْ أَكَلْتُمْ وَشَبِعْتُمْ مِنْ تِلْكَ الْأَرْغَفَةِ. لَا تَسْعُوا وَرَاءَ الطَّعَامِ
 الْفَانِي، بَلْ وَرَاءَ الطَّعَامِ الْبَاقِي إِلَى الْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ، وَالَّذِي يُعْطِيكُمْ إِيَّاهُ ابْنُ
 الْإِنْسَانِ، لِأَنَّ هَذَا الطَّعَامَ قَدْ وَضَعَ اللَّهُ الْآبُ حَتْمَهُ عَلَيْهِ». فَسَأَلُوهُ: «مَاذَا
 نَفْعَلُ لِنَعْمَلَ مَا يَطْلُبُهُ اللَّهُ؟» أَجَابَ يَسُوعُ: «الْعَمَلُ الَّذِي يَطْلُبُهُ اللَّهُ هُوَ أَنْ
 تُؤْمِنُوا بِمَنْ أَرْسَلَهُ». فَقَالُوا لَهُ: «مَا الْآيَةُ الَّتِي نَعْمَلُهَا لِنَرَاهَا وَنُؤْمِنَ بِكَ؟
 مَاذَا تَفْعَلُ أَنْ نَعْمَلَ؟ فَإِنَّ آبَاءَنَا أَكَلُوا الْمَنَّ فِي الْبَرِّيَّةِ كَمَا جَاءَ فِي
 الْكِتَابِ: أَعْطَاهُمْ مِنَ السَّمَاءِ خُبْزًا لِيَأْكُلُوا!». (يوحنا 6: 1-14 و 25-31).

لا بد أن سيدنا إبراهيم (سلام الله عليه) كان يشعر بالسعادة وهو يرى
 أن الأمم ستتبارك من خلال أحد أحفاده، وذلك بعد أن اجتاز هو
 اختبار الإيمان بأن قدم كذبيحة لله الابن الذي من خلال نسله تتبارك كل
 الأمم.

والمسيح في ليلته الأخيرة عرف سر من سيخونه ويسلمه لليهود ليقتلوه
 فرح يصلي: "قائلاً: «يَا أباي، إِنْ شِئْتَ أَبْعُدْ عَنِّي هَذِهِ الْكُأْسَ. وَلَكِنْ، لِيَكُنْ
 لَا مَشِيئَتِي بَلْ مَشِيئَتُكَ». وَظَهَرَ لَهُ مَلَأَكٌ مِنَ السَّمَاءِ يُشَدِّدُهُ. وَإِذْ كَانَ

في صراعٍ، أَخَذَ يُصَلِّي بِأَشَدِّ الْخَاجِ؛ حَتَّى إِنَّ عَرَقَهُ صَارَ كَقَطْرَاتِ دَمٍ نَازِلَةٍ عَلَى الْأَرْضِ". (لوقا 22: 42-44).

لم يقاوم سيدنا إسحاق بينما أبوه يربط يديه ورجليه في خشب المذبح، ولم يتساءل أو يجادل في دوافع سيدنا إبراهيم لقتله، بل حتى وهو يرى السكين ترتفع في الهواء لتتهوي عليه لم يعترض. أنه حقا صورة ومثال لذبيحة العيد الكبير التي هي أيضا صورة المسيح الذي لم يرفض أن يموت من أجل كل الناس على صليب خشبي.

6: نبوة سيدنا إبراهيم بأن الله (سيرى لنفسه الذبيحة المناسبة):

توجه إبراهيم خليل الله وسيدنا إسحاق إلى الجبل، وكان إبراهيم يحمل النار، بينما إسحق يحمل الخشب. وقد تساءل الابن: "هَا هِيَ النَّارُ وَالْحَطَبُ، وَلَكِنْ أَيْنَ حُرُوفُ الْمُحْرَقَةِ؟". (تكوين 22: 7).

فأجاب نبي الله جواباً عفويًا، لكنه كان نبوة من الله نطق بها دون أن يدري "إِنَّ اللَّهَ يُدَبِّرُ لِنَفْسِهِ الْحُرُوفَ لِلْمُحْرَقَةِ يَا ابْنِي" (تكوين 22: 8).

كانت نبوءة مزدوجة، فبعد دقائق من نطق سيدنا إبراهيم بها تحققت ودبر الله الحروف الذي فدى به إسحاق، وبعد قرون دبر الله على نفس الجبل الذبيحة التي يفدي بها البشر. وهذا أيضاً ما قاله يوحنا المعمدان عندما رأى السيد المسيح "وَفِي الْيَوْمِ التَّالِيِ رَأَى يُوحَنَّا يَسُوعَ آتِيًا نَحْوَهُ، فَهَنَّفَ قَائِلًا: «هَذَا هُوَ حَمَلُ اللَّهِ الَّذِي يُرَبِّلُ حَطِيئَةَ الْعَالَمِ". (يوحنا 1: 29).

بعد أن انتهى سيدنا إبراهيم من تقديم الذبيحة، أطلق اسماً على ذلك المكان وهو: "يهوه يراه» (ومعناه: الرب يدبر). وهي نفس الكلمات التي قالها لابنه قبل قليل.

هاتان الفكرتان تدفعان المسيحي أيضاً للاحتفال بعيد الأضحى. فإبراهيم كان سيقدم ابنه الوحيد كذبيحة على جبل المريا، ولكن الله فعل وقدم المسيح ذبيحة على نفس الجبل لكي تتبارك كل الأمم بمغفرة خطاياهم كما وعد الرب إبراهيم الخليل.

هذه البركة التي يعلنها الكتاب المقدس لكل شعوب العالم هي الخلاص والنجاة من الهلاك الأبدي بواسطة ذبيحة المسيح.

ليس المغزى من العيد الكبير في القرآن والعقيدة الإسلامية تقديم ذبيحة لغفران المعاصي والذنوب كما هو الحال في الناموس اليهودي. ففي هذا الناموس يلتزم كل من يخطئ أن يقدم ذبيحة لغفران خطيته، وهذه الذبيحة هي للغفران الموقت حتى يخطئ مرة أخرى فيحتاج لذبيحة جديدة، إلى أن أتت البشرية في العهد الجديد بذبيحة واحدة دائمة هي يسوع المسيح.

7: نجاه الأبن بذبح عظيم من عند الله:

يقول المولى عز وجل في محكم التنزيل الكريم: "فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ وَقَدَيْنَاهُ بِذَّبْحٍ عَظِيمٍ" (سورة الصافات 103-107).

نعرف من قصة كتاب التكوين أن الله جل جلاله قد دبر بنفسه "كَبْشاً قَدْ عَلِقَ بِفُرُوعِ أَشْجَارِ الْعَابَةِ"، وسيدنا إبراهيم "أَصْعَدَهُ مُحْرَقَةً عَوْضاً عَنِ ابْنِهِ" (التكوين 22). بالإضافة للمعجزة الربانية بتدبير الكبش لإنقاذ سيدنا إسحاق يمكن القول أن كونه (كَبْشاً) فيه إشارة لما حدث بعد ذلك بأكثر من 800 عام حين جاء موسى بالناموس وأوامره التي منها تقديم كبش (ذكر) صحيح البدن بلا عيب كذبيحة لله عن خطية من يخطئ تجاه المولى.

نلاحظ في الكتاب الكريم عن أضحية الفداء التي اقتدى بها المولى سيدنا إسحاق قوله عن الذبح أنه "عظيم" وهي تعني أنه أكثر من كونه عظيم القيمة المادية فهو عظيم في قيمته وتأثيره أكثر من أي عدد من الحيوانات العادية.

8: سيدنا إبراهيم تبرر بالإيمان قبل تقديم ابنه:

يجمع كتاب العهد الجديد على حقيقة أن سيدنا إبراهيم حسب باراً أمام الله بسبب إيمانه. إيمان سيدنا إبراهيم الذي جعله باراً أمام الله، ليس فقط إيمانه بوجود الله، أو أنه آمن أن نسله من ابنه إسحاق سيصير كرمل البحر، بل هو إيمانه بالعهد والوعد الذي أعطاه إياه رب العزة (أن في نسله تتبارك جميع الأمم وهو نسل محدد جداً في شخص سيدنا عيسى) راجع ما جاء في رسالة غلاطية "كَذَلِكَ «أَمَنَ إِبْرَاهِيمُ بِاللَّهِ، فَحَسِبَ لَهُ ذَلِكَ بَرًّا». فَأَعْلَمُوا إِذْنًا أَنَّ الَّذِينَ هُمْ عَلَى مَبْدَأِ الْإِيمَانِ هُمْ أَتْبَاءُ إِبْرَاهِيمَ فِعْلًا. ثُمَّ إِنَّ الْكُتَّابَ، إِذْ سَبَقَ فَرَأَى أَنَّ اللَّهَ سَوْفَ يُبَرِّرُ الْأُمَّمَ

عَلَى أَسَاسِ الْإِيمَانِ، بَشَّرَ إِبْرَاهِيمَ سَكْفًا بِقَوْلِهِ: «فِيكَ تَنْبَارِكُ جَمِيعُ الْأُمَمِ!» إِذْنِ الَّذِينَ هُمْ عَلَى مَبْدَأِ الْإِيمَانِ يُبَارَكُونَ مَعَ إِبْرَاهِيمَ الْمُؤْمِنِ وَقَدْ وُجِّهَتْ الْوَعُودُ لِإِبْرَاهِيمَ وَنَسْلِهِ، وَلَا يَقُولُ «وَلِلْأَنْسَالِ» كَأَنَّهُ يُشِيرُ إِلَى كَثِيرِينَ، بَلْ يُشِيرُ إِلَى وَاحِدٍ، إِذْ يَقُولُ «وَلِنَسْلِكَ»، يَعْنِي الْمَسِيحَ". (غلاطية 3: 6-16).

وقد أكد المولى تلك الفكرة وكررها على خليله إبراهيم عدة مرات فأولاً عندما أمره بالخروج من أرض آبائه وثانياً عندما أطاعه في اختبار الإيمان بتقديم ابنه ذبيحة لله.

ما معنى كلمة "حُسب" في القول "حُسب له برأ"؟

إنها تشير إلى إيمان وتصديق سيدنا إبراهيم لله وطاعته بترك أهله وعشيرته، أيضاً تصديقه أن الله سيبارك كل الشعوب من خلال نسله.

بر سيدنا إبراهيم (=خلوه من الذنوب) أمام عدالة الله لم يكن بسبب سلوكه الجميل أو طاعته في تقديم ابنه بل لأنه وكما يقول العهد الجديد "أمن وصدق الله فحسب له برأ".

فسيدنا إبراهيم قد (حُسب) باراً من قبل تقديم إسحاق بمدة خمسة وعشرين عاماً. فقد صدق الله أن من نسله ستبارك الأمم حتى قبل أن ينجب إسماعيل أو إسحاق.

فالمولى لم يشهد لسيدنا إبراهيم أنه بار بسبب أي عمل قام به بل لإيمانه بوعد الله، فماذا تكون أعمال الإنسان إذا؟ إنها محاولة لطاعة وصايا

الشريعة التي لم تكن موجودة حتى ذلك الوقت لأن سيدنا موسى لم يكن قد جاء. فسيدنا إبراهيم لم يتبرر بأي عمل صالح عمله حتى ولا بتقديم ابنه بل تبرر فقط بتصديق الله وترك عشيرته وإرتحاله إلى حيث يقوده المولى، وتبرر بتصديقة بعهد الله له أن من خلال نسله ستتبارك كل الأمم. إن الدرس الذي نتعلمه من خليل الله هو أن نثق بكل ما يقوله الله ونصدقّه. وتصديقنا لكلمات الله سيقودنا إلى التبرير أمام الله.

"وأخرجه الرب إلى الخارج وقال: «انظر إلى السماء وعد النجوم إن استطعت ذلك». ثم قال له: «هكذا يكون نسلك». فأمن بالرب فحسبه له برا". (التكوين 15: 5-6).

كثيراً ما تستخدم الكتابات المسيحية مصطلح (تبرير) لوصف حالة بعض الناس أمام الله، وهذا المصطلح يعني كما يقول القانونيون (أن هذا الشخص بريء) فهو إعلان البراءة أمام عدالة الله.

ومن وجهة نظر دينية فمصطلح (تبرير) يعني جعل الشخص بريئاً أو مبرراً من الإثم الذي ارتكبه في الماضي. إذ رغم أن سيدنا إبراهيم ارتكب بعض الأخطاء كالكذب مثلاً على قومه عندما سألوه عن حطم أصنامهم. لكنه شخص مبرر في نظر الله ونظر كل البشر بسبب إيمانه وتصديقه وطاعته لمشيئة الرحمن.

9: إيمان سيدنا إبراهيم بالذهاب للمدينة السماوية:

لم يقتصر إيمان سيدنا إبراهيم على تصديقه لتحقيق ربه لكل ما وعده به (الأرض - النسل - بركة الأمم) بل تعدى إيمانه تلك المرحلة إلى الإيمان بما هو أبعد فنقرأ في رسالة العبرانيين "وَبِالْإِيمَانِ، كَانَ يَرْحَلُ كَالْغَرِيبِ مِنْ مَكَانٍ إِلَى آخَرَ فِي الْأَرْضِ الَّتِي وَعَدَهُ اللَّهُ بِهَا، وَكَأَنَّهَا أَرْضٌ غَرِيبَةٌ. وَكَانَ يَسْكُنُ فِي الْخِيَامِ مَعَ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ، شَرِيكَيْهِ فِي إِرْثِ الْوَعْدِ عَلَيْهِ. فَإِنَّهُ كَانَ يَنْتَظِرُ الْإِنْتِقَالَ إِلَى الْمَدِينَةِ السَّمَاوِيَّةِ ذَاتِ الْأُسُسِ الثَّابِتَةِ، الَّتِي مُهَيَّئَةٌ وَبَانِيهَا هُوَ اللَّهُ". (عبرانيين 11: 9-10).

فإيمان نبي الله بربه لم يكن قاصراً على الأرض بل كان ينتظر سكناً جديداً يبنيه الله لأصفيائه.

10: إيمان سيدنا إبراهيم بالقيامة:

كان إيمان سيدنا إبراهيم مرتكزاً على حقيقة القيامة بعد الموت فقد قدم ابنه وحيداً للموت وهو موقن ان الله قادر أن يقيمه ليحقق به بركة لكل الأمم من خلال نسل ذلك الأبن.

يظهر لنا إيمانه بالقيامة من قوله لخادميه: "امكثا هنا مع الحمار، ريثما أصدع أنا والصبي إلى هناك لتتعبد لله ثم نعود إليكما". (تكوين 22: 5). يظهر لنا في هذا القول فعلاً سيفعلهما سيدنا إبراهيم وابنه (تعبد لله) و (نعود).

يشرح لنا كاتب رسالة العبرانيين تلك الفكرة بقوله: "وَبِالْإِيمَانِ، إِبْرَاهِيمُ أَيْضاً، لَمَّا امْتَحَنَهُ اللَّهُ، قَدَّمَ إِسْحَاقَ ابْنَهُ. فَإِنَّهُ، إِذْ قَبِلَ وَعُودَ اللَّهُ،

قَدَّمَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ دَبِيحَةً، مَعَ أَنَّ اللَّهَ قَالَ لَهُ: «بِإِسْحَاقَ سَوْفَ يَكُونُ لَكَ نَسْلٌ يَحْمِلُ اسْمَكَ!» فَقَدَّ آمَنَ إِبْرَاهِيمُ بِأَنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى إِقَامَةِ إِسْحَاقَ مِنَ الْمَوْتِ. وَالْوَاقِعُ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ اسْتَعَادَ ابْنَهُ مِنَ الْمَوْتِ، عَلَى سَبِيلِ الْمَثَلِ أَوْ الرَّمْزِ". (عبرانيين 11: 17-19).

1 - فإبراهيم بتقديمه ابنه الوحيد ثم العودة به حياً مرة أخرى كان رمزاً لله الذي قدم المسيح للموت ثم استرده بالقيامة. والمسيح قال عن نفسه "أنا هو القيامة والحياة. من آمن بي، وإن مات فسيحيا". (يوحنا 11: 25).

2 - وكتاب العهد الجديد يستخدم عبارتي (البشارة) و(الإنجيل) للإشارة إلى إنعام الله على كل من يؤمن بقيامة المسيح من كل الأمم بالنجاة في يوم الحساب.

3 لاحظ أيضاً ما جاء في رسالة غلاطية "ثُمَّ إِنَّ الْكُتَّابَ، إِذْ سَبَقَ فَرَأَى أَنَّ اللَّهَ سَوْفَ يُبْرِزُ الْأُمَّمَ عَلَى أُسَاسِ الْإِيمَانِ، بَشَّرَ إِبْرَاهِيمَ سَلْفًا بِقَوْلِهِ: «فِيكَ تَتَبَارَكُ جَمِيعُ الْأُمَّمِ!» إِذْ ذُنِ الَّذِينَ هُمْ عَلَى مَبْدَأِ الْإِيمَانِ يُبَارَكُونَ مَعَ إِبْرَاهِيمَ الْمُؤْمِنِ". (غلاطية 3: 8-9).

بهذا الإتجاه الإيماني قدم سيدنا إبراهيم دليلاً محسوساً على طاعته لله بتقديم ابنه، وقدم أيضاً درساً عملياً في طاعة ربه لابنه وأهله وكل من يعرفونه في أرض كنعان. درس في فهم معنى أن تتبارك الأمم من خلاله.

11: الذين هم على مثال إسحاق هم أيضاً أولاد للوعد:

"وَأَمَّا أَنْتُمْ، أَيُّهَا الْإِخْوَةُ، فَأَوْلَادُ الْوَعْدِ، عَلَى مِثَالِ إِسْحَاقَ". (غلاطية 4: 28).

المشكلة الآن أن اليهود يفهمون فكرة النبوة لإبراهيم بطريقة قاصرة. فهم أولاده من سيدنا إسحاق ابن الوعد والوارث لكل الوعود الإلهية لإبراهيم، ويتناسون أن البركة ستكون لكل الأمم وليس لهم فقط.

والعرب يرون أنفسهم نسل إبراهيم من سيدنا إسماعيل فهم جديرون بمواعيد الله لإبراهيم الخليل أيضاً.

اليهود يعملون على طاعة يهوه (اسم الله في التوراة) بأعمالهم الصالحة أي بتنفيذ ناموس وشريعة موسى. والعرب يطيعون الله بأعمالهم الصالحة من خلال تنفيذ وصايا شريعة الإسلام.

لكن أحد كتب العهد الجديد قدم وجهة نظر أخرى واستخدم مثال زوجتي سيدنا إبراهيم (سيدتنا هاجر وسيدتنا سارة) لكي يبين عدم نفع أو إمكانية إرضاء الله بأعمالنا الصالحة، إذ إرضاء الله يكون بالإيمان. هكذا نقراً: "قُولُوا لِي، يَا مَنْ تُرْعَبُونَ فِي الرَّجُوعِ إِلَى الْعُبُودِيَّةِ لِلشَّرِيعَةِ، أَلَسْتُمْ تَسْمَعُونَ مَا جَاءَ فِي الشَّرِيعَةِ؟ فَإِنَّهُ قَدْ كُتِبَ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ لَهُ ابْنَانِ: أَحَدُهُمَا مِنَ الْجَارِيَةِ، وَالْآخَرُ مِنَ الْمَرْأَةِ الْحُرَّةِ. أَمَّا ابْنُ الْجَارِيَةِ، فَقَدْ وُلِدَ حَسَبَ الْجَسَدِ. وَأَمَّا ابْنُ الْحُرَّةِ، فَإِنَّمَا لِلْوَعْدِ. وَهَذِهِ الْحَقِيقَةُ لَهَا مَعْنَى رَمَزِيٌّ. فَهَاتَانِ الْمَرْأَتَانِ تَرْمِزَانِ إِلَى عَهْدَيْنِ: الْأَوَّلُ مَصْدَرُهُ

جَبَلُ سَيْنَاءَ، يَجْعَلُ الْمَوْلُودِينَ نَحْنَهُ فِي حَالِ الْعُبُودِيَّةِ، وَرَمَزُهُ هَاجِرٌ. وَنَفْطَةُ هَاجِرٌ تُطْلَقُ عَلَى جَبَلِ سَيْنَاءَ، فِي بِلَادِ الْعَرَبِ، وَتُمَثِّلُ أُورُشَلِيمَ الْحَالِيَّةَ، فَإِنَّهَا مَعَ بَنِيهَا فِي الْعُبُودِيَّةِ. أَمَّا الثَّانِي، فَرَمَزُهُ الْحُرَّةُ الَّتِي تُمَثِّلُ أُورُشَلِيمَ السَّمَاوِيَّةَ الَّتِي هِيَ أُمْنَا. فَإِنَّهُ قَدْ كُتِبَ: «أَفْرَحِي أَيْتَهَا الْعَاقِرُ الَّتِي لَا تَلِدُ، اهْتَفِي بِأَعْلَى صَوْتِكَ أَيْتَهَا الَّتِي لَا تَتَمَخَّصُ، لِأَنَّ أَوْلَادَ الْمَهْجُورَةِ أَكْثَرُ عِدَدًا مِنْ أَوْلَادِ الَّتِي لَهَا زَوْجٌ!» وَأَمَّا أَنْتُمْ، أَيُّهَا الْإِخْوَةُ، فَأَوْلَادُ الْوَعْدِ، عَلَى مِثَالِ إِسْحَاقَ. وَلَكِنْ، كَمَا كَانَ فِي الْمَاضِي الْمَوْلُودُ بِحَسَبِ الْجَسَدِ يَضْطَهُدُ الْمَوْلُودَ بِحَسَبِ الرُّوحِ، فَكَذَلِكَ أَيْضًا يَخْدُثُ الْآنَ. إِنَّمَا مَاذَا يَقُولُ الْكِتَابُ؟ «أَطْرُدِ الْجَارِيَةَ وَابْنَهَا، لِأَنَّ ابْنَ الْجَارِيَةِ لَا يَرِثُ مَعَ ابْنِ الْحُرَّةِ!» إِذَنْ، أَيُّهَا الْإِخْوَةُ، نَحْنُ لَسْنَا أَوْلَادَ الْجَارِيَةِ، بَلْ أَوْلَادُ الْحُرَّةِ". (غلاطية 4: 21-31).

فالتباين بين إسماعيل بن هاجر (الجارية) وبين إسحاق بن سارة (الحرّة) يقدم تمثيلاً مجازياً لعدم قدرتنا على الوصول للفردوس بمجرد طاعة الشريعة والعمل بها. فعلى المؤمن طبعاً أن يعكس في سلوكه صورة واضحة لفعل الإيمان في حياته، لكن تلك الصورة ليست هي سبب رضاء الله عنه.

وبينما نحن ندرس تلك الصورة والمثال الذي قدمه كاتب العهد الجديد، يجب أن نتذكر أن الله لم يعط ناموسه (ناموس موسى) للبشر إلا بعد حوالي 800 عام من موت سيدنا إبراهيم وزوجتيه. ولم يعط للبشر

القرآن إلا بعد حوالي 2600 سنة من عصر سيدنا إبراهيم. ولنتأمل الاختلافات التي يقدمها لنا كاتب العهد الجديد ممثلة في الجدول التالي:

1	سارة (الحرّة) تمثل الحرّية التي صارت بالنعمة للمؤمنين بالله.	هاجر (العبدّة) تمثل العبودية للناموس والشرائع.
2	إسحاق هو الابن الشرعي الموعود به من الله من الزوجة الشرعية سارة.	إسماعيل هو الابن حسب الجسد وحسب اقتراح سارة على زوجها وليس حسب وعد الله.
3	سارة ترمز لجبل المريا الذي قدم عليه سيدنا إبراهيم ابنه كذبيحة. وهو نفس الجبل الذي صلب عليه المسيح كفدية عن البشر.	هاجر ترمز لجبل سيناء حيث تلقى سيدنا موسى الناموس من ربه.
4	سارة كحرة ترمز للحرّية من الناموس بالبر الممنوح من الله.	هاجر كعبدّة ترمز لعبودية الإنسان للشريعة والناموس.
5	سارة ترمز لأورشليم السماوية المدينة التي انتظرها إبراهيم الخليل زوجها.	هاجر تشير إلى اورشليم الأرضية حيث اليهود والفريسيون يحكمون بالشرائع ويعطونها الأولوية، وحيث لم يستطع أهل تلك المدينة

<p>أن يؤمنوا بالمسيح كذبيحة بسبب ذلك الناموس. وكأم لكل العرب يمكننا أن نرى هاجر رمزاً لمدينة مكة حيث كثيرون لا يعرفون المسيح كذبيحة بسبب تعاليم الشريعة.</p>		
<p>اليهود الآن هم رمزياً أولاد الجسد لإبراهيم وبمنظور روعي العرب أيضاً. كلاهما سيطردان من حضرة الله ولا أمل لهما في ميراث إبراهيم.</p>	<p>المؤمنون الحقيقيون هم كإسحاق يرثون الوعود الأبدية التي وُعد بها إبراهيم. واللباب مازال مفتوحاً لكل الشعوب للإنضمام لورثة ذلك العهد.</p>	6

وعدم إمكانية إرضاء الله بأعمال الإنسان مبدأ متكرر في العهد الجديد (رومية 2: 19-20، رومية 3: 9-28، رومية 5: 1-11، رومية 10: 4، غلاطية 5: 1-25، أفسس 2: 1-10، يعقوب 2: 10).

عصر آخر يجمع هذين الشعبين (العرب نسل إسماعيل) و (اليهود نسل إسحاق) هو التختان فحتى اليوم يمارس اليهود والعرب التختان لأولادهم ربما دون وعي لمرجعيته الدينية.

فالله طلب التختان من سيدنا إبراهيم وكل الرجال من أهل بيته كإعلان مادي محسوس أن كل نسله سيحافظ على العهد مع الله.

(التكوين 17: 1-14). بحيث تبقى تلك العلامة في أجسادهم تذكيراً لهم
كي يسلكوا بلا لوم.

ومعروف تاريخياً أن اليهود لم يحفظوا شروط العهد مع الله ورفضوا
مسيحه. والسؤال الآن هو: هل حفظ الله عهده الأبدى مع نسل إبراهيم؟

في نفس اليوم الذي أمر الله فيه بالختان اختتن سيدنا إبراهيم وابنه
إسماعيل وكل خدامه وعماله (تكوين 17: 22-27). وربما بعد عام من
تلك الحادثة ولد سيدنا إسحاق واختتن بعد ثمانية أيام من ميلاده
(تكوين 21: 4). كأول مختتن من النسل الموعود لإبراهيم.

وبعد فترة قصيرة حرم سيدنا إسماعيل من البقاء مع والده وطرد هو
وأمه وذهما إلى بركة فاران (تكوين 21: 21) حيث سكن شرق سكن
أخيه إسحاق (تكوين 16: 11-20).

ومن المؤكد أن سيدنا إسماعيل قد اختتن حسب أمر الله لخليته
إبراهيم، ذلك الختان الذي مازال معظم العرب والمسلمون يمارسونه
ربما بلا معرفة لسببه ولا مغزاه الديني، واستمر نسل إسحاق يمارسونه
أيضاً كجزء من ناموسهم الديني الذي ورد في توراة موسى بعد 800 سنة
من عهد سيدنا إبراهيم.

ذلك الختان أيضاً صار مدعاة حيرة للمسيحيين الأوائل الذين تساءلوا
هل من الضروري أن يختنوا كأولاد لإبراهيم (بالإيمان) مثل أولاد
إبراهيم (بالجسد) أم أنه غير ضروري.

والشيء المألوف أن اليهود مازالوا يمارسون الختان حتى اليوم كعلامة مادية لإتباعهم لله وبنوتهم لإبراهيم، ولكن رغم تلك الممارسة الجسدية التي يمارسونها فهم أبعد ما يكونون عن طريق سيدنا إبراهيم وإيمانه.

فإن كان اليهود نسل إسحاق رفضوا سيدنا عيسى، وبعض العرب لا يدركون المواعيد التي قيلت عن نسل إبراهيم عليه السلام الذي من خلاله (ذلك النسل) تتبارك كل الأمم والشعوب يظهر السؤال الهام: هل أبقى الله عهده وميثاقه الأبدى مع نسل إبراهيم أم الغاه؟ الإجابة: نعم ففي كتاب العهد الجديد نقرأ أن الختان الحقيقي هو ختان القلب لا ختان الجسد وأن هناك أبناء لإبراهيم (مؤمنين مثله) وليسوا بالضرورة من صلبه. فالبنوة لسيدنا إبراهيم والانتساب إليه لا يكون بالبنوة الجسدية فقط بل بالبنوة الحقيقية (الإيمان).

ولقد شرح الحواري بولس ذلك الأمر في رسالة إلى أهل رومية معلماً أن المؤمن الحقيقي ليس هو ابن إبراهيم بالجسد ولا من مارس الإختتان كبنى إبراهيم بل الإيمان الحقيقي هو الذي يجعل الإنسان ابناً لسيدنا إبراهيم حتى لو لم يكن من نسله حسب الجسد.

قبل مجيء سيدنا عيسى للعالم نبه أنبياء اليهود شعبهم إلى أن ذلك الشعب يحتاج لا إلى ختان الجسد ليصبح ابناً لإبراهيم بل يحتاج إلى ختان القلب: "اِخْتَنُّوا لِلرَّبِّ، وَأَزِيلُوا قُلُوبَكُمْ (أَيَّ طَهَّرُوا عُقُولَكُمْ وَقُلُوبَكُمْ وَكَيْسَ أَجْسَادِكُمْ فَقَطُّ) لِئَلَّا يَتَفَجَّرَ غَضَبِي كَنَارٍ فَتُحْرَقَ وَكَيْسَ مَنْ يُخَمِّدُهَا، مِنْ جَرَاءِ أَعْمَالِكُمُ الشَّرِّيرَةِ". (إرميا 4: 4).

وهنا يثور سؤال عن ما هو المقصود "بختان القلب"؟ المقصود انه ختان لا يصنعه إنسان بيد بشرية كختان الجسد، بل هو ختان يتم بالإيمان في قلب الإنسان الذي ربما لا ينتسب لسيدنا إبراهيم جسدياً البتة. وفي هذا الختان القلبي يصير الإنسان واحداً من عائلة ونسل إبراهيم وله كل مواعيد وبركات الله التي لنسل إبراهيم ويصير واحداً مع من شملتهم البركة من نسل إبراهيم (المسيح) ويصير مقبولاً ومبرراً أمام الله بذلك الإيمان.

نختم دراستنا هذه بالإشارة للذبيحة التاريخية التي حدثت من 2000 عام قبل المسيح والتي يحتفل بها كل مسلم في العيد الكبير حيث قدم إبراهيم الخليل ابنه ذبيحة لله وأخذه حياً بموت الخروف بدلاً منه. وكانت رمزاً ونموذجاً للذبيحة التي من نسل إبراهيم والتي قدمت على نفس الجبل لكي تتبارك بها كل الشعوب، وهي ذبيحة المسيح ابن إبراهيم الذي صلب كفداء عن كل مؤمن (كابن لإبراهيم). تلك الذبيحة التي لم تكفر عن خطية واحدة لشخص واحد بل كفرت عن كل خطايا المؤمنين بتلك التقدمة عنهم.

فالمؤمنون بذبيحة المسيح هم من أولاد سيدنا إبراهيم وخطاؤه دينياً بعد أن أنحرف أولاده بالجسد عن إيمان أبيهم.

اقرأ النص (رومية 4: 9-25) لتجد أن الإيمان بالمسيح يهب الإنسان البركة الأبدية التي لنسل إبراهيم.

إنه يقول عن سيدنا إبراهيم "ثُمَّ تَلَقَىٰ إِبْرَاهِيمَ عَلَٰمَةً الْخِتَانِ حَتْمًا لِّبَرِّ الْخَاصِلِ بِالْإِيمَانِ الَّذِي كَانَ لَهُ وَهُوَ مَا زَالَ غَيْرَ مَخْتُونٍ، لَكِي يَكُونَ أَبًا لِجَمِيعِ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ مِنْ غَيْرِ الْمَخْتُونِينَ فَيَحْسَبَ الْبَرُّ لَهُمْ أَيْضًا" (رومية 4: 11).

والجزء التالي يوضح أن إبراهيم عليه السلام ليس أباً فقط لليهود المختونين ولا للعرب أبناء إسماعيل (ذريته بالجسد)، بل هو أب لكل من يسلك في نفس الإيمان "وَأَبًا لِّلْمَخْتُونِينَ الَّذِينَ لَيْسُوا مِنْ أَهْلِ الْخِتَانِ وَحَسَبَ بَلِ الَّذِينَ يَسِيرُونَ فِي حُطَىٰ الْإِيمَانِ الَّذِي كَانَ لِأَيْنَا إِبْرَاهِيمَ وَهُوَ بَعْدُ غَيْرُ مَخْتُونٍ". (رومية 4: 12). الإيمان المقصود هو نفس الإيمان الذي كان لدى الخليل قبل أن يختتن لأن وعد الله له كان في ذلك الوقت ولا يرتبط الوعد بالختان "فَلَيْسَ عَلَىٰ أَسَاسِ الشَّرِيعَةِ كَانَ الْوَعْدُ لِإِبْرَاهِيمَ، أَوْ لِنَسَلِهِ، بَأَن يَكُونَ وَارِثًا لِّلْعَالَمِ، وَإِنَّمَا عَلَىٰ أَسَاسِ الْبَرِّ الَّذِي بِالْإِيمَانِ". (رومية 4: 13).

يجب أن نضع دائماً في حساباتنا أن شريعة وناموس موسى وشريعة الله في القرآن لم يكونا معروفين في عهد سيدنا إبراهيم. والأمر الوحيد الذي كان يجب عليه أن يقوم به ليصير باراً أمام الله هو أن يختتن هو وكل ذكر من أهل بيته. وبعد ذلك ورد في الناموس والشرائع العديد من الأوامر والنواهي مما يجعل الإنسان بلا عذر يوم الحساب إن لم يتبع وصايا الله بخذافيرها. فمجيء عصر الشريعة أصبح كل البشر تحت حكم ناموس وشريعة الله ومن يخالفها فمصيره العذاب المقيم في جهنم. فبوجود

الناموس والشريعة عرف الإنسان الحدود الربانية التي لو تعداها يكون واقعاً تحت حكم العقاب، لأنه قبل تلك الشرائع لم يكن يعرف تلك الحدود. وبالتالي فبالشريعة والناموس اتضحت معرفة الإنسان للخطية "وَحَنُ نَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ مَا نَقُولُهُ الشَّرِيعَةُ إِنَّمَا نُخَاطِبُ بِهِ الَّذِينَ هُمْ تَحْتَ الشَّرِيعَةِ، لِكَيْ يُسَدَّ كُلُّ فَمٍ وَيَقَعَ الْعَالَمُ كُلُّهُ تَحْتَ دَيْئُونَةٍ مِنَ اللَّهِ. فَإِنَّ أَحَدًا مِنَ الْبَشَرِ لَا يَبْرُرُ أَمَامَهُ بِالْأَعْمَالِ الْمَطْلُوبَةِ فِي الشَّرِيعَةِ. إِذْ إِنَّ الشَّرِيعَةَ هِيَ لِإِظْهَارِ الْخَطِيئَةِ". (رومية 3: 19-20). وعن يوم الحساب يقول "ثُمَّ رَأَيْتُ عَرْشًا عَظِيمًا أَبْيَضَ هَرَبَتِ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ مِنْ أَمَامِ الْجَالِسِ عَلَيْهِ، فَلَمْ يَبْقَ لَهُمَا مَكَانٌ. وَرَأَيْتُ الْأَمْوَاتِ، كِبَارًا وَصِغَارًا، وَاقِفِينَ قُدَّامَ الْعَرْشِ. وَفُتِحَتِ الْكُتُبُ، ثُمَّ فُتِحَ كِتَابٌ آخَرٌ هُوَ سِجِلُّ الْحَيَاةِ، وَدِينَ الْأَمْوَاتِ بِحَسَبِ مَا هُوَ مَدَوَّنٌ فِي تِلْكَ الْكُتُبِ، كُلُّ وَاحِدٍ حَسَبَ أَعْمَالِهِ. وَسَلَّمَ الْبَحْرُ مَنْ فِيهِ مِنَ الْأَمْوَاتِ، وَسَلَّمَ الْمَوْتُ وَهَاطِيَةَ الْمَوْتَى الْأَمْوَاتِ الَّذِينَ فِيهِمَا، وَحَكِمَ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ بِحَسَبِ أَعْمَالِهِ. وَطُرِحَ الْمَوْتُ وَهَاطِيَةَ الْمَوْتَى فِي بَحِيرَةِ النَّارِ، الَّذِي هُوَ الْمَوْتُ الثَّانِي. وَكُلُّ مَنْ لَمْ يُوجَدِ اسْمُهُ مَكْتُوبًا فِي سِجِلِّ الْحَيَاةِ طُرِحَ فِي بَحِيرَةِ النَّارِ!" (كتاب الرؤيا 20: 11-15).

لكن يالللخسارة فاليهود أولاد إسحاق الذين هم الناموس والعرب أولاد إسماعيل الذين هم الشريعة، كلاهما واقعان تحت حكم الإدانة بسبب التقصير في بعض أو كل شرائع الله. فالجميع (كل البشر) تحت حكم الإدانة أمام محكمة العدل الإلهية بناء على شراعه. وما بالك

بمسير من ليسوا يهوداً وليسوا عرباً إنه مصير أسوأ من كليهما . فكيف سيتبررون أمام الله.

العهد الجديد يقدم لنا الحل " فَلَوْ كَانَ أَهْلُ الشَّرِيعَةِ هُمْ أَصْحَابُ الْإِرْثِ، لَصَارَ الْإِيمَانُ بَلَاءً فَاعِلِيَّةً وَتَقْضَى الْوَعْدُ. لِأَنَّ الشَّرِيعَةَ إِنَّمَا تُنْتِجُ الْعُضْبَ؛ فَلَوْلَا الشَّرِيعَةُ لَمَا ظَهَرَتِ الْمُخَالَفَةُ". (رومية 4 : 14-15). "لِذَلِكَ، فَإِنَّ الْوَعْدَ هُوَ عَلَى أَسَاسِ الْإِيمَانِ لِيَكُونَ بِحَسَبِ التَّعْمَةِ، بِقَصْدٍ أَنْ يَكُونَ مَضْمُوناً لِلنَّسْلِ كُلِّهِ: لَيْسَ لِأَهْلِ الشَّرِيعَةِ وَحْدَهُمْ، بَلْ أَيْضاً لِأَهْلِ الْإِيمَانِ الَّذِي كَانَ لِإِبْرَاهِيمَ. فَإِنَّهُ أَبٌ لَنَا جَمِيعاً، كَمَا قَدْ كُتِبَ: «إِنِّي جَعَلْتُكَ أَباً لِأُمَّمٍ كَثِيرَةٍ». (إِنَّهُ أَبٌ لَنَا) فِي نَظَرِ اللَّهِ الَّذِي بِهِ آمَنَ، وَالَّذِي يُحْيِي الْمَوْتَى وَيَسْتَدْعِي إِلَى الْوُجُودِ مَا كَانَ غَيْرَ مَوْجُودٍ". (رومية 4 : 16-17). فوعد الله لسيدنا إبراهيم أن من خلال نسله (المسيح) سيتبارك اليهود وكل الشعوب الأخرى (=غير اليهود).

كل مسلم يحتفل بالعيد الكبير يفكر في معاني ذلك العيد الروحية والإيمانية لذبيحة جبل المريا والذبح العظيم الذي فدى سيدنا إسحاق، وكل شخص غير مسلم يريد أن يتبع ملة أبو الإيمان الخليل إبراهيم يجب أن يحقق الرجاء والأمل الذي تطلع إليه سيدنا وسيد المؤمنين " إِذْ رَغِمَ انْقِطَاعَ الرَّجَاءِ، فَيَا لِرَجَاءِ آمَنَ إِبْرَاهِيمُ بِأَنَّهُ سَيَصِيرُ أَباً لِأُمَّمٍ (وليس أمة واحدة) كَثِيرَةٍ، وَفَقاً لِمَا قِيلَ لَهُ: «بِهَذِهِ الْكَثْرَةِ سَيَكُونُ نَسْلُكَ». وَكَمْ يَضْعُفُ فِي الْإِيمَانِ حِينَ أُدْرِكَ مَوْتَ جَسَدِهِ، لِكُونِهِ قَارِبَ سِنِّ الْمِئَةِ، وَمَوْتِ رَحِمِ زَوْجَتِهِ سَارَةَ أَيْضاً؛ وَكَمْ يَشْكُ فِي وَعْدِ اللَّهِ عَنِ عَدَمِ إِيْمَانِ،

بَلْ وَجَدَ فِي الْإِيمَانِ قُوَّةً، فَأَعْطَى الْمَجْدَ لِلَّهِ. وَإِذْ أَقْتَنَعَ تَمَاماً بِأَنَّ مَا وَعَدَهُ
اللَّهُ بِهِ هُوَ قَادِرٌ أَنْ يَفْعَلَهُ؛ فَلِهَذَا أَيْضاً حُسِبَ لَهُ ذَلِكَ بَرًّا". (رومية 4:
22-18).

12: إبراهيم خليل الله:

ذكرنا في الفقرات السابقة بعض الحديث عن الصداقة بين سيدنا
إبراهيم والمولى جل جلاله. وفي التوراة والعهد الجديد يبقى سيدنا إبراهيم
هو الوحيد الذي أطلق عليه لقب خليل أو صديق الله: "إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِي،"
(إشعيا 41: 8). "إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِكَ" (أخبار الأيام الثاني 20: 7). "أَمَّنَ
إِبْرَاهِيمُ بِاللَّهِ، فَحُسِبَ لَهُ ذَلِكَ بَرًّا»، حَتَّى إِنَّهُ دُعِيَ «خَلِيلَ اللَّهِ». (يعقوب
2: 23).

فإبراهيم خليل الله هو الرجل الذي إصطفاه المولى ليبدأ من خلاله
تدبير النجاة والفداء بالذبح الإلهي العظيم. فمن خلال سيدنا إبراهيم
ونسله وصلت البركة لكل الأمم بواسطة الذبح الإلهي العظيم.

وقد أكد المولى اصطفاة لعبده إبراهيم بالقول: "فَقَالَ الرَّبُّ: «أَأَكْتُمُ عَنْ
إِبْرَاهِيمَ مَا أَنَا فَاعِلُهُ؟ وَإِبْرَاهِيمُ لَأَبَدٌ أَنْ يُصْبِحَ أُمَّةً كَبِيرَةً وَقَوِيَّةً، وَبِهِ
تَبَارَكَ شُعُوبُ الْأَرْضِ جَمِيعاً، لِأَنِّي قَدْ احْتَرْتُهُ لِيُوصِيَ بِنِيهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ
مَنْ بَعْدَهُ كَيْ يَحْفَظُوا طَرِيقَ الرَّبِّ، عَامِلِينَ الْبِرَّ وَالْعَدْلَ، حَتَّى يُحْجِزَ الرَّبُّ
مَا وَعَدَ بِهِ إِبْرَاهِيمَ». (تكوين 18: 17-19).

ورغم اختيار الله لسيدنا إبراهيم كأب للمؤمنين جميعاً إلا أنه يفتح
الباب لكل من يؤمن ليصير من أبناء إبراهيم في الإيمان فقد ورد في العهد

الجديد: "تَبَارَكَ اللهُ، أَبُو رَبَّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ الَّذِي بَارَكَنَا بِكُلِّ بَرَكَاتِهِ رُوحِيَّةٍ فِي الْأَمَاكِنِ السَّمَاوِيَّةِ. كَمَا كَانَ قَدْ اخْتَارَنَا فِيهِ قَبْلَ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ، لِنَكُونَ قَدِيسِينَ بِلَا كُومِ أَمَامَهُ. إِذْ سَبَقَ فَعَيَّنَا فِي الْمَحَبَّةِ لِنَتَّخِذَنَا أَبْنَاءَ لَهُ يَسُوعَ الْمَسِيحِ. وَذَلِكَ مُوَافِقٌ لِلْقَصْدِ الَّذِي سُرَّتْ بِهِ مَشِيئَتُهُ، بَعْرَضِ مَدْحِ مَجْدِ نِعْمَتِهِ الَّتِي بِهَا أَعْطَانَا حُطُوَّةً لَدَيْهِ فِي الْمَحْبُوبِ: فَفِيهِ لَنَا بِدَمِهِ الْفِدَاءُ، أَيِ غُفْرَانِ الْخَطَايَا؛ بِحَسَبِ غِنَى نِعْمَتِهِ الَّتِي جَعَلَهَا تَفِيضُ عَلَيْنَا مَصْحُوبَةً بِكُلِّ حِكْمَةٍ وَفَهْمٍ. إِذْ كَشَفَ لَنَا سِرَّ مَشِيئَتِهِ بِحَسَبِ مَرْضَاتِهِ الَّتِي قَصَدَهَا فِي نَفْسِهِ". (الرسالة إلى أهل أفسس 1: 3-9).

نلاحظ أن كل تلك الوعود والآيات بدون شرحها وتفسيرها في ضوء العهد الجديد تصبح غير مفهومة لأي يهودي. فما معنى أن تتبارك كل الأمم بواسطة نسل إبراهيم؟ هذا السؤال كان وما زال بلا إجابة واضحة لدى اليهودي الذي يفرض العهد الجديد، أما بالنسبة للمسلم الذي في بداية كل سورة من كتابه يقرأ عن (الرحمن الرحيم) فهو لديه فهم أوسع عن رحمة الله التي وسعت العالمين وشملت كل الأمم وليس فقط اليهود.

إن المؤمنين الذين نالوا رحمة الله لم يعودوا فقط (أصدقاء أو خلاناً) لله بل صار كل منهم واحد من عيال الله أي واحداً من الأسرة الكبيرة التي يرأسها الله جل جلاله وصار الله أباً لتلك الأسرة وصار المسيح أخاً لكل مؤمن في تلك الأسرة. وهذا ما يجب أن نحدث به أولادنا وعائلاتنا ونحن نحتمل سوياً بالعيد الكبير عيد التضحية والفداء.

13: سيدنا إبراهيم حنيفاً:

كتاب المولى عز وجل يصف سيدنا إبراهيم بأنه مسلم وحنيف. وكما هو معروف فكلمة حنيف تشير إلى كل موحد بالله ولا يشرك معه آخر. فسيدنا إبراهيم رفض عبادة الأوثان التي عبدها قومه وعندما ارتحل إلى أرض كنعان كانت تلك الأرض مملوءة بعبادة الأوثان ومعظمهم يتقربون لتلك الوثان بتقديم أولادهم كذبائح بشرية. ولا شك أن سيدنا إبراهيم حمد ربه أنه هداه للحق لكيلا يمارس تلك العبادات ولا يقدم الذبائح البشرية. لذلك يظهر إيمان سيدنا إبراهيم في طاعته لله بلا أسئلة ولا مناقشة ولا تدمير عندما طلب منه طلباً يبدو في ظاهرة غريباً وهو تقديم ابنه، لكن المؤمن العظيم بربه سارع طائعاً إذ هو مسلم لله و حنيف.

هذه الطاعة كانت صفة موجودة في سيدنا إبراهيم من يوم أمره ربه أن يغادر قومه إلى أرض أخرى يسكنها وسط قوم لا يخافون الله. فأطاع بلا مجاملة أو تدمير. هذه الطاعة والتسليم لأمر المولى عز وجل هما سبب أن الله (بره) أي أحسبه باراً ومستحقاً أن يكون خليلاً للرحمن. هذا هو مستوى الإيمان المطلوب من كل منا لكي نحسب أولاداً لإبراهيم في الإيمان.

فكما رأينا فالطريق أماننا مفتوح لكل واحد ليصير لا فقط خليلاً لله بل واحداً من أهل بيت الله، فروح الله يصنع تغييراً في حياة كل من يسلم لله ويجعله خليفة جديدة مطيعة للمولى ومملوءة حباً وخيراً لباقي البشر، تعشق مولاها وصانعتها وبارئها وهو الله.

وقد أكد سيدنا عيسى عليه سلام الله تلك الحقيقة أي تغيير نفس المؤمن إلى طبيعة خيرة فياضة بعمل روح الله داخله فقال: "وَمَا قَالَ الْكُتَّابُ، فَمَنْ آمَنَ بِي تَجْرِي مِنْ دَاخِلِهِ أَنْهَارُ مَاءٍ حَيٍّ". قَالَ يَسُوعُ هَذَا عَنِ الرُّوحِ الْقُدُسِ الَّذِي كَانَ الْمُؤْمِنُونَ بِهِ سَيَقْبَلُونَهُ. وَلَمْ يَكُنِ الرُّوحُ قَدْ أُعْطِيَ بَعْدَ لِأَنَّ يَسُوعَ لَمْ يَكُنْ قَدْ تَمَجَّدَ بَعْدَ". (يوحنا 7: 38-39).

فكل مؤمن نال بركة الفداء من الله بذبيحة سيدنا عيسى يثق أنه سيجتاز يوم العقاب تحت مظلة الذبح العظيم الذي صار لكل الأمم، فعندما تحتفل بفداء سيدنا إسحق علينا أن نتذكر شكر الله على فداء سيدنا عيسى لأنفسنا.

وفي ختام هذه الدراسة لتتفكر في النص التالي: "لِذَلِكَ اجْعَلُوا أَذْهَانَكُمْ مُتَنَبِّهَةً دَائِمًا، وَتَيَقِّظُوا، وَعَلِّقُوا رِجَاءَكُمْ كُلَّهُ عَلَى التَّعَمَّةِ الَّتِي سَتَكُونُ مِنْ نَصِيحَتِكُمْ عِنْدَمَا يَعُودُ يَسُوعُ الْمَسِيحُ ظَاهِرًا بِمَجْدِهِ! وَبِمَا أَنَّكُمْ صَرِثُمْ أَوْلَادًا لِلَّهِ مُطِيعِينَ لَهُ، فَلَا تَعُودُوا إِلَى مُجَارَاةِ الشَّهَوَاتِ الَّتِي كَانَتْ تُسَيِّطِرُ عَلَيْكُمْ سَابِقًا فِي أَيَّامِ جَهْلِكُمْ. وَإِنَّمَا اسْلُكُوا سُلُوكًا مُقَدَّسًا فِي كُلِّ أَمْرٍ، مُقْتَدِينَ بِالْقُدُوسِ الَّذِي دَعَاكُمْ، لِأَنَّهُ قَدْ كُتِبَ: «كُونُوا قَدِيسِينَ، لِأَنِّي أَنَا قُدُوسٌ!» وَمَا دُمْتُمْ تَعْرِفُونَ بِاللَّهِ أَبَاكُمْ، وَهُوَ يَحْكُمُ عَلَى كُلِّ إِنْسَانٍ حَسَبَ أَعْمَالِهِ دُونَ انْحِيَاظٍ، فَاسْلُكُوا فِي مَخَافَتِهِ مُدَّةَ إِقَامَتِكُمْ الْمُوقَّتَةِ عَلَى الْأَرْضِ. وَاعْلَمُوا أَنَّهُ قَدْ دَفَعَ الْفِدْيَةَ لِيَحْرِّرَكُمْ مِنْ سِيرَةِ حَيَاتِكُمْ الْبَاطِلَةِ الَّتِي أَحْدَثْتُمُوهَا بِالتَّطَلُّدِ عَنِ آبَائِكُمْ. وَهَذِهِ الْفِدْيَةُ لَمْ تَكُنْ شَيْئًا فَانِيًا كَالْفِضَّةِ أَوْ الذَّهَبِ، بَلْ كَانَتْ دَمًا ثَمِينًا، دَمَ الْمَسِيحِ، ذَلِكَ الْحَمَلِ

الطاهر الذي ليس فيه عيب ولا دنس! ومع أن الله كان قد عين المسيح لهذا الغرض قبل تأسيس العالم، فهو لم يعلنه إلا في هذا الزمن الأخير لغايتكم أنتم الذين تؤمنون بالله بالمسيح الذي أقامه من الموت وأعطاه المجد، حتى يكون الله غاية إيمانكم ورجائكم". (رسالة بطرس الأولى 1: 13-21).

إن الله عز وجل قد أختار رجلاً واحداً ليكون خليلاً له وقرر أن من خلال نسل هذا النبي الكريم ستصل البركة لكل الأمم والشعوب. وأقام المولى ابن ذلك الخليل من على المذبح وفداه بذبح عظيم. فما حدث لم يكن مجرد اختبار لإيمان سيدنا إبراهيم، بل هو مثال لنا لنرى الذبح العظيم الحقيقي الذي مات لا على مذبح ليفدي شخصاً واحداً بل مات على الصليب ليفدي البشرية.

